علماء العرب والإسلام

٥

ابن البناء المراكشي العالم المجهول

عبد الرزاق كيلو

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

ابنُ البَنَّاء المُرَّاكِشيُّ

العالِمُ المَجْهُولُ

حَقّاً يُعْتَبَرُ عالِماً مَجْهُولاً لدى مُثَقَّفي الأُمَّة وشَبَابها، على الرَّغْم مِمَّا عُرِفَ به في عَصْرِه من شُهْرةٍ عِلْمِيَّةٍ واسِعَةٍ، حتَّى أنَّ عُلَماءَ الغَرْبِ اعْتَمَدُوا كَثِيراً على أَبْحاثِه في عِلْمِ الحِسابِ.. فمَنْ هُو هذا العالِمُ المَجْهُولُ؛ الَّذي لم يُعْطِه أبناءُ جِلْدَتِه الاهتمامَ الذي أَوْلَتْه أوربة له ؟!

ابنُ البَنَّاءِ المُرَّاكِشيُّ
وِلادتُه ونَشْأتُه

هُو «أبو العَبَّاسِ أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ عُثْمانَ الأَزْدِيُّ» المَعْرُوفُ «بابْنِ البَنَّاء» لأنَّ والِدَه كان بَنَّاءاً، والمُلَقَّب «بالمُرَّاكِشيِّ» لأنَّه وُلِد في مدينةِ مُرَّاكِش...

وُلد في مُرَّاكِش، وعاشَ ما بين سَنة ٦٥٤ ـ ٧٣١ هِجْريَّة.. ودَرَسَ في نَشْأتِه الأُولى عُلُومَ الفِقْهِ والحَديثِ والنَّحوِ في مُرَّاكِش على يد مَشَاهيرِ العُلَماءِ هُناكَ.

ثُـمَّ بَعْـدَ ذلكَ ذَهَـبَ إلى مدينـةِ «فاس» فَـدَرسَ الطِّـبَّ والرِّياضِيَّـات والفَلَـكَ والتَّنْجِيـمَ، فبـرعَ فـي هـذه العُلُومِ ، حتى وَفد إليه العُلماءُ من الآفاقِ للتَّتَلْمُذِ على يَدِه في جَمِيعِ فُرُوعِ المَعْرفةِ.

ومِنْ بينِ هؤلاء أُستاذُ المُؤَرِّخِين «عبدُ الرَّحمنِ بنُ خلدون»... واشْتُهِرَ «ابـنُ البَنَّـاء» بِمُـؤَلَّفـاتِـه فـي عِلْمَـي الرِّياضِيَّات والفَلَك ، فكان يُعَدُّ من السَّابِقينَ في هذين العِلْمَيْنِ.

ومِمَّا يُؤْسَفُ له أنَّ إنْتَاجَ «ابنِ البَنَّـاء» العِلْمـيَّ كـانَ مَجْهُـولاً لَـدَى

عُلَمـــــاءِ العَـــــربِ والمُسْلِميـــــن المُعاصِرين ، حتى اكْتشفهُ بعضُ المُسْتَشْرِقينَ المُنْصِفِينَ، وأَبْرَزُوهُ في طابعٍ عِلْمِيٍّ يُشْكَرُون عليهِ.

يقولُ قَدْري طُوقان:

«نَبَغَ ابنُ البَنَّاءِ في الرِّياضِيَّات ، وله فِيهما مُؤلَّفاتٌ قَيِّمةٌ وَرسائلُ نَفِيْسَةٌ ، تَجْعَلُه في تَعْدادِ الخَالِدينَ المُقَدَّمِينَ في تَارِيخِ تَقدُّم العِلْمِ ، ومِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ ألاَّ يُعْطَى إنْتَاجُه حَقَّه مِنَ البحثِ والتَّنْقِيبِ ، ولَوْلا بعضُ كُتُبِهِ الَّتي أَظْهَرها المُسْتَشْرِقُونَ الَّذِين يُعْنَـوْنَ بـالتُّـراثِ العَـربـيِّ ، لمـا

اسْتَطَعْنَا أن نَعْرِفَ شَيئاً عن مآثِرِهِ في العُلُومِ».

ابنُ البَنَّاء وكِتابُه تَلْخِيصُ أَعْمَالِ الحِسابِ

بَقِيَ كتابُ «تَلْخِيص أَعْمَالِ الحِسابِ» لابْنِ البَنَّاءِ المَرْجِعَ الأسَاسِيَّ في عِلْمِ الحِسَابِ في أوربةَ ، حَتى مَطْلِعَ القَرْنِ العاشِرِ الهِجْرِيِّ ، واهْتَمَّ عُلَماءُ الغَرْبِ بِتَحْقِيقِهِ وتَرْجَمَتِهِ إلى لُغاتٍ مُخْتَلِفةٍ ، حتَّى أَوائِلَ القَرْنِ الثَّالثَ عَشَرَ الهِجْرِيِّ...

ويَقُولُ «جورج سارتون»:

إنَّ كِتـــابَ «تَلْخِيـــص أَعْمَـــالِ الحِســابِ» لابْـنِ البَنَّــاءِ المُـرَّاكِشــيِّ يَحْتَــوي علــى نَظَـرِيَّــاتٍ حِسَــابيَّــةٍ وجَبْريَّةٍ مُفِيدةٍ ، إِذْ أَوْضَحَ العَوِيْصَ مِنها إِيْضَاحاً لم يَسْبِقْهُ إليهِ أَحَدٌ ، لِذَا يَرى سارتون: أَنَّهُ يُعْتَبَرُ مِنْ أَحْسَنِ الكُتُبِ التي ظَهَرتْ في عِلْمِ الحِسابِ...

أَمَّا «دِيفيد يوجين سمث» فقد ذَكَرَ:

أَنَّ كِتَـــابَ «تَلْخِيـــصِ أَعْمـــالِ الحِسابِ» لابْنِ البَنَّاءِ يَشْتَمِلُ على بُحُوثٍ كَثِيرةٍ فِي الكُسورِ ونَظَرِيَّات لِجَمْعِ مُرَبَّعاتِ الأَعْدَادِ، ومُكَعَّبَاتِها،

وقَانُون الخَطَأَيْنِ لِحَلِّ المُعَادَلةِ مِنَ الدَّرَجةِ الأُولى...

ويَـذْكُـر «محمَّـد سُـويسـي» فـي تَحْقِيقِـهِ لِكِتـابِ ابْـنِ البَنَّـاء أنَّ ابْـنَ البَنَّاءِ اسْتَقرَّ في مُرَّاكِشَ مُنْقَطِعَاً للتَّدريسِ ، وأنَّه كان بِشَهَادةِ طُلاَّبه: حَسَـنَ الأُسْلـوبِ ، وَاضِـحَ الـدَّرْسِ ، يميلُ إلى الدِّقَّةِ ، وَقَدْ تَطَبَّعَ العَدِيدُ مِنْ طُلاَّبِهِ بِطَبَائِعِهِ.

كَمَـا أَعْطَـى «سـويـس» مُـوجَـزاً لِكِتـابِ «تَلخِيـصِ أَعْمـالِ الحِسـابِ» كالآتي:

الجُزْءُ الأوَّلُ: في العَدَدِ المَعْلُومِ ،

ويَحْتَوي على أَقْسامِ العَدَدِ ومَراتِبِه. والجَمْعِ والطَّرْحِ والضَّرْبِ والقِسْمَةِ، والكُسُورِ وجَمْعِها، وطَرْحِها، وقِسْمَتِها، والجُذُورِ وجَمْعِها، وطَرْحِها، وضَرْبِها، وقِسْمَتِها.

الجُزْءُ الثَّاني: فَيَشْتَمِلُ عَلَى النِّسبةِ والجَبْرِ والمُقَابَلَةِ.

١٠ ـ كِتَابُ الأُصُولِ والمُقَدِّمَاتِ في الجَبْرِ والمُقَابَلَةِ.

١١ ـ كِتابُ اليَسارةِ في تَقْوِيمِ الكَواكبِ السَّيَّارةِ.

١٢ ـ كِتَابُ مَدْخَلِ النُّجُومِ وطَبائِعِ الحُرُوفِ.

١٣ ـ رِسَالةٌ في كُرَويَّةِ الأَرْضِ.

١٤ ـ رِسَالةٌ في تَحْقِيقِ رُؤْيةِ الأَهِلَّةِ.

١٥ ـ كِتَابُ القانُون لِتَرْجِيلِ الشَّمْسِ والقَمَرِ في المَنَازِلِ، ومَعْرفةِ أَوْقَاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ.

هَذَا إضافةً إلى كُتُبٍ أُخْرى بَقِيَتْ مَجْهُولةً حتَّى يَوْمِنَا هذا.

مَاذا قالَ العُلماءُ

عَنِ ابْنِ البَنَّاءِ وكِتابِه

يَذْكُر «فرانسيس كاجوري» في

كِتَابِهِ «المُقَدِّمَة في تَارِيخ الرِّياضِيَّات» «أنَّ ابْنَ البنَّاءِ المُرَّاكِشيَّ قَدَّمَ خِدْمَةً عَظِيمةً بإيْجادِه الطُّرقَ الرِّياضيَّةَ البَحْتَةَ؛ لإيجادِ القِيَمِ التَّقْرِيبِيَّة لِجُذُورِ الأَعْدادِ الصُّمِّ».

أمَّا العَلامةُ «ابنُ خَلْدون» فيقولُ في مُقدِّمَتِه عن كِتَابِ ابْنِ البَنَّاءِ: «وَهُوَ مُسْتَغْلِقٌ على المُبْتَدِىء بِمَا فيهِ من البُرْهَانِ بِبَيانِ عُلُومِ التَّعاليمِ؛ لأنَّ مَسَائِلَها وأَعْمَالَها وَاضِحةٌ كُلُّها ، وإذا قُصِدَ شَرْحُها فَإنَّما هو إعْطَاءُ العِلل في تِلْكَ الأَعْمالِ ، وفي ذلكَ من العُسْرِ

على الفَهْم ما لا يُوجَدُ في أَعْمَالِ المَسائِلِ.

ويقولُ «عُمَرُ رِضا كَحَّالة»:

«إنَّ كِتـــابَ «تلخيـــصِ أَعْمـــالِ الحِساب» لابْنِ البَنَّاءِ يَحْتَوي على بُحُوثٍ مُخْتَلِفةٍ تَمَكَّنَ ابنُ البَنَّاء مِنْ جَعْلِها عَلى الرَّغْمِ من صُعُوبةِ بَعْضِهَا قَرِيبةُ المُتَناوَلِ والمَأْخَذِ ، وَقَدْ أَوْضَحَ النَّظَـرِيَّـاتِ العَـوِيْصَـةَ والقَـواعِـدَ المُسْتَعْصِيَةَ إِيْضَاحاً لَمْ يُسْبَقْ إِليه فلا تَجِد فيها الْتِواءً أو تَعْقِيداً».

ويقولُ قَدْري طُوقان:

«لقـد ألَّـفَ ابْـنُ البَنَّـاءِ أَعْمَـالَ

الحِسابِ الذي احْتَوَىٰ على أَفْكارٍ رِياضيَّةٍ مُتَقَدِّمَةٍ خدمتِ العُلومَ جميعاً ، واهْتَمَّ عُلَماءُ العَربِ والمُسْلِمين بِهَذا الكِتابِ اهْتِماماً بالِغاً لما لَه مِنَ الأَهَمِّيَّة ، فَشَرَحُوهُ وعَلَّقُوا عَلَيهِ الكَثِيرَ، ومِنَ هَؤلاء العُلَماءِ: القَلْصادي....».

مُؤَلَّفَاتُه

عَكَفَ «ابنُ البَنَّاءِ» رَحِمَهُ اللهُ على التَّأليفِ، فَصَنَّفَ نَيِّفاً وسبعين ما بين كتابٍ ورسالةٍ في الرِّياضِيَّات والفَلَكِ ، فَكَانَ عَالِماً مُنْتِجاً ، ومُثْمِراً ،

فَقَدْ أَلَّفَ أكثرَ من سَبْعِينَ كِتاباً ورِسالةً فِي: العَدَدِ والحِسابِ والهَندسةِ والجَبْرِ والفَلَكِ والتَّنْجِيمِ، ضَاعَ مُعْظَمُهَا، ولَم يُعْثَرْ إلاَّ عَلَى عَدَدٍ قَليلٍ منها.

فَضْلُ ابْنِ البَنَّاء على بَعْضِ البُحوثِ والنَّظَرِياتِ في الجَبْر والحِسابِ والفَلَك:

ومِنْ هَذِهِ المؤلَّفاتِ:

١ ـ كتابُ رَفْع الحِجابِ عن عِلْمِ الحِسابِ.

٢ ـ كتابُ تَلْخِيص أَعْمالِ الحِسابِ.

٣ ـ مِنْهَاجُ الطَّالبِ لتعديلِ الكَواكبِ.

٤ ـ رِسالةٌ في عِلْمِ المَساحَةِ.

٥ ـ رِسالةٌ في عِلْمِ الحِسابِ.

٦ ـ مَسائِلُ في العَدَدِ التَّامِّ والنَّاقصِ.

٧ ـ التَّمْهِيدُ والتَّيْسِيرُ في قَواعِدِ التَّكْسِيرِ.

٨ ـ كِتَابُ تَنْبِيهِ الأَلْبابِ.

٩ ـ رِسالَةٌ في الجُذُورِ الصُّمِّ جَمْعِها وطَرْحِها.

كَلِمةٌ أَخِيرةٌ لا بُدَّ منها

مِنَ المُؤْسِفِ حَقَّاً: أنَّ عُلَمَاءَ الغَرْبِ عِنْدَمَا تَرْجَمُوا كتابَ تَلْخِيص أَعْمَالِ الحِساب «لابْنِ البَنَّاءِ» انْتَحَلُوا كثيراً من الأَفْكَارِ والنَّظَرِيَّاتِ الرِّياضِيَّةِ لأَنْفُسِهم ، وبَقِيَ هذا الاعْتِقَادُ حَتى القَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجْرِيِّ...

ولكنَّ أَحَدَ المُسْتَشْرِقِينَ الفَرَنْسِيِّيْن تَرْجَمَ الكِتابَ المَذْكُورَ إلى اللُّغَةِ الفَرَنْسِيَّة ، وكَشَفَ هؤلاء

اللُّصُـوصَ المُنْتَحِلِيْـنَ لِنَظـريَّـةِ ابْـنِ البَنَّاءِ الرِّياضيَّة...

يقولُ عُمَرُ رِضَا كَحَّالة:

«كتابُ التَّلْخِيصِ هَذَا كان مَوْضِعَ عِنَايةِ عُلَماءِ العَرَبِ واهْتِمَامِهِم، يَدُلُّنا عَلَى ذلك كَثيرٌ من الشُّروحِ الَّتي وَضَعُوها له، فقد وَضَعَ عبدُ العزيزِ الهـرازيُّ أَحَـدُ تـلاميـذِ ابْـنِ البَنَّـاءِ شَرْحاً، وكذلك لأحمدَ بن المَجْدي شَرْحٌ ظَهَرَ في النِّصْفِ الثَّاني من القَرْنِ الرَّابعَ عَشَرَ المِيْلاديِّ، ولابْن زَكـريَّـا مُحمـد الإِشْبيلـي شَـرْحٌ، وللعَلقادي شَرْحان، وأخيراً نَقَلَهُ

«أريستيدمار» إلى الفرنسيَّة في النِّصْفِ الأَخِيرِ من القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ لِلْمِيلادِ ، وبيَّن أنَّ عُلماءَ الغربِ قَدِ اعْتَمَدُوا عَلى الكِتابِ المَذْكُورِ ، ونَقَلُوا عنه...

وأَخِيْراً ، فإنَّ «ابْنَ البَنَّاءِ المُرَّاكِشيَّ» يَسْتَحِقُّ اعْتِزَازَنَا إذْ كان العالِمَ المُؤْمِنَ المُخْلِصَ في عَمَلِهِ ، لِدَرجةِ أنَّه لُقِّبَ بالعَدَدِيِّ ، نِسبةً لِمَا قَدَّمَهُ لِعِلْمِ الحِسابِ من جَهْدٍ وَوَقْتٍ. ونُبوغُ ابْنِ البَنَّاءِ في أَقْصَىٰ أَرْضِ المَغْرِبِ العَرَبيِّ يدلُّ عَلى عُمْقِ انْتِشَارِ العُلُومِ في الأُمَّة الإِسْلامِيَّة آنذاكَ ،

والـرَّوابِـط الحَقِيْقيـةِ التـي رَبَطَـتْ مَشَارِقَ بِلادِ المُسْلِمينَ ومَغَارِبها عَبْرَ البِحَارِ والصَّحَارى.

الأَسْئِلةُ والمُنَاقَشةُ

١ ـ لماذا لُقِّبَ ابْنُ البَنَّاء بذلك؟ ولِمَاذا لُقِّبَ بالمُرَّاكِشيِّ ؟

٢ ـ مَاذَا دَرَسَ ابْنُ البَنَّاءِ في نَشْأتِه الأُوْلَى؟

٣ ـ مَنْ أَهمُّ تَلاميذِ ابْنِ البَنَّاءِ ؟

٤ ـ مَاذا يَحْتَوي كِتابُ ابْنِ البَنَّاء «تَلْخيص أَعْمَالِ الحِساب» ؟

٥ ـ اذْكُرْ ثلاثةً من مُؤَلَّفاتِ ابْنِ البَنَّاءِ.

٦ ـ مَاذَا فَعَلَ عُلَمَاءُ الغَرْبِ عِنْدَمَا تَرْجَمُوا كِتابَ ابْنِ البَنَّاءِ تَلْخِيص أَعْمالِ الحِسابِ إِلَى لُغَاتِهم ؟

٧ ـ كَيف كُشِفَ انْتِحالُ عُلماءِ الغَرْبِ لأَفْكَارِ ابْنِ البَنَّاءِ؟

٨ ـ لِمَاذا يَسْتَحِقُّ ابْنُ البَنَّاءِ الاعْتِزازَ والتَّكْرِيمَ؟